وقال ها أمي

لما كان يسوع يكلم الجموع قال له واحد أن أمه وإخوته واقفون خارجاً يطلبون أن يكلموه "فأجاب وقال للقائل له من هي أمي ومن هم إخوتي. ثم مد يده نحو تلاميذه وقال ها أمي وإخوتي لأن من يصنع مشيئة أبي الذي في السماوات هو أخي وأختي وأمي" (مت١٢: ٤٨-٤٩).

نحن في مسيرة جهادنا الروحي مطالبون بالسعي إلى توطيد علاقتنا بالسيد المسيح بكل أوجهها. إننا مطالبون أن نختبره اختباراً وجدانياً كأب، وراعي، ومعلم، وسيد، وعريس، وصديق، وخبز حياة، وطريق ...إلخ إلا أن النص الكتابي السابق يقدم لنا وجهاً مختلفاً لعلاقتنا بالسيد المسيح وهو علاقتنا به كابن. يعني ذلك أن النفس البشرية مطالبة أيضاً أن تكون أماً ليسوع. قد يبدو هذا الأمر غريباً وغير مألوف أن أرى يسوع ابناً لي!! فهل من المعقول أن أصلي مخاطباً إياه "يا يسوع ابني"؟ ألسنا نخاطبه "يا أبا الآب" وأيضاً "يا أبانا"؟!!

إن كلمات السيد المسيح "ها أمي" تبدد كل حيرة العقل الذي يستحي أن يتصور أن يدعى أماً لذاك الإله الكلي القدرة الذي أنشأه من عدم. وليس ذلك فقط بل كلمات المزمور أيضاً تمتدح هذا السعي المقدس وتباركه إذ يقول المرنم: "ولصهيون يقال هذا الإنسان وهذا الإنسان ولد فيها وهي العلي يثبتها. الرب يعد في كتابة الشعوب أن هذا ولد هناك" (مز٨٧: ٥-٦). إنها مسرة الإله الوديع متواضع القلب أن يولد داخل كل نفس بشرية.

قد يتطلع المرء إلى أيقونة السيدة العذراء فيجدها حاملة الطفل يسوع على ذراعها، ضامة إياه إلى صدرها عند موضع قلبها، متحدثة إليه بعينيها المثبتتين في عينيه وعندئذ قد يصيبه الكثير من الغيرة متمنياً لو تدعه تلك الأم المغبوطة يحمل عنها طفلها الإلهي ولو للحظات لكي يتمتع فيها بما تتمتع هي به من علاقة أمومية لصيقة معه. إلا أن الله السخي في العطاء لا يريدنا فقط أن نحمله للحظات كغرباء عنه بل أن نكون أمهات حقيقيات له، وأن يمد يده نحونا مثلما مدها من قبل نحو تلاميذه شاهداً لنا ومعترفاً بنا أمام الآب في اليوم الأخير قائلاً: "ها أمي".

ليست العذراء فقط هي أم يسوع بل كل من يجاهد إلى أن يتصور المسيح في أحشائه هو أيضاً أم ليسوع، وكل من يلد يسوع إلى العالم هو أم يسوع، وكل من يطعم يسوع الجائع في الجائعين هو أم يسوع، وكل من يسقي يسوع العطشان في العطشانين هو أم يسوع، وكل من يأوي يسوع الغريب في الغرباء هو أم يسوع، وكل من يكسو يسوع المعرى في المتعرين هو أم يسوع، وكل من يزور يسوع المريض في المرضى هو أم يسوع، وكل من يأتي إلى يسوع المحبوس في المحبوسين هو أم يسوع. كل عيد عذراء وأنت يا عزيزي أم ليسوع!!